تاريخ البيمارستانات
فى العهد الاسلامى

بقلم الدكتور احمد بك عيسى

-٦-

امتحان الصيادلة

وكذلك حدث فى أيام الخليفة المعتصم بن الرشيد (٢١٨ — ٢٢٧) أنه بينما كان الأفشين حيدر بن كاوس أحد قواد جند المعتصم فى معسكره وهو فى محاربة بابك سنة ٢٢١ - وكان معه فى معسكره زكريا الطيفورى الطبيب - أمر باحصاء جميع من فى عسكره من التجار وحوانيتهم وصناعة رجل رجل منهم ، فرفع ذلك إليه ، فلما بلغت القراءة بالقارىء إلى موضع الصيادلة قال الأفشين لزكريا الطيفورى : يا زكريا ! ضبط هؤلاء الصيادلة عندى أولى مما تقدم فيه ، فامتحنهم حتى نعرف منهم الناصح من غيره ، ومن له دين ومن لادين له ، فقال زكريا : أعز الله الأمير ، إن يوسف لقوة الكيميائى كان يدخل على المأمون كثيراً ويعمل بين يديه ، فقال له يوماً : ويحك يا يوسف ! ليس فى الكيمياء شىء . فقال له بلى يا أمير المؤمنين ! وإنما آفة الكيمياء الصيادلة ، قال له المأمون : ويحك ! وكيف ذلك ؟

فقال يا أمير المؤمنين ! إن الصيدلانى لا يطلب منه إنسان شيئاً من الأشياء — كان عنده أم لم يكن — إلا أخبره بأنه عنده ، ودفع إليه شيئاً من الأشياء التى عنده ، وقال هذا الذى طلبت ، فان رأى أمير المؤمنين أن يضع اسماً لا يعرف ، ويوجه جماعة إلى الصيادلة فى طلبه ليبتاعه فليفعل ، فقال له المأمون : قد وضعت الاسم وهو (سقطينا) وسقطينا ضيعة تقرب من مدينة السلام ،ووجه المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن سقطينا ، فكلهم ذكر أنه عنده وأخذ الثمن من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حانوته ، فصاروا إلى المأمون بأشياء مختلفة ، فمنهم من أتى ببعض البذور ، ومنهم من أتى بقطعة من حجر ، ومنهم من أتى بوبر ، فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة عن نفسه وأقطعه ضيعة...فان رأى الأمير أن يمتحن هؤلاء الصيادلة بمثل محنة المأمون فليفعل .

فدعا الأفشين بدفتر الأسروشنية ، فأخرج منها نحواً من عشرين اسماً ووجه إلى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الأسماء : فبعضهم أنكرها ، وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته ، فأمر الأفشين باحضار جميع الصيادلة ، فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفة تلك الأسماء منشورات أذن لهم فيها بالمقام فى عسكره ،ونفى الباقين عن العسكر ، ولم يأذن لأحد منهم فى المقام ، ونادى المنادى بنفيهم وباباحة دم من وجد منهم فى

معسكره ، وكتب إلى المعتصم يسأله البعثة إليه بصيادلة لهم أديان ومذهب جميل ، ومتطببين كذلك ، فاستحسن المعتصم منه ذلك ووجه إليه بما سأل (١) .

الحسبة

هى وظيفة جليلة رفيعة الشأن ، وموضوعها التحدث فى الأمر والنهى ، والتحدث على المعايش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح فى معيشته وصناعته ... قال الماوردى فى « الأحكام السلطانية » : وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكفف لأنه يكف عن الظلم ، وقال النحاس : من قولهم أحسبه إذا كفاه لأنه يكفى الناس مئونة من يبخسهم حقوقهم ، قال النحاس : وحقيقته فى اللغة المجتهد فى كفاية المسلمين ، ومنفعتهم إذ حقيقته افتعل عند الخليل وسيبويه بمعنى اجتهد (٢) .

المحتسب

هو من أرباب الوظائف (٣) الدينية الستة المشهورة ، وكان عندهم من وجوه العدول وأعيانهم ، وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ، ويده مطلقة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحسبة ولا يحال بينه وبين مصلحة أرادها ، ويتقدم إلى الولاة بالشد منه ، ويقيم النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنواب الحكم ، ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوماً بيوم ، قال : ورأيت فى بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبى الشرطة بهما أحياناً (٤) .

فى الحسبة على الاطباء والكحالين والجرائحين والمجبرين

جاء فى كتاب نهاية الرتبة (٥) فى طلب الحسبة خاصا بالأطباء وصناعتهم ، قال : وينبغى للمحتسب أن يأخذ عليهم عهداً بقراط الذى أخذه على سائر الأطباء ويحلفهم أن لا يعطوا أحداً دواء مرآ ، ولا يركبوا له سما ، ولا يصنعوا السمائم عند أحد من العامة ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذى يسقط الأجنة ، ولا للرجال الدواء الذى يقطع النسل ، وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى ، ولا يفشوا الأسرار ، ولا يهتكوا الأستار ، وينبغى للطبيب أن يكون عنده جميع آلات الطب على الكمال مما يحتاج إليه فى صناعة الطب ، غير آلة الكحالين والجرائحيين مما يأتى ذكره فى موضعه ، وللمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين فى كتابه المعروف (بمحنة الطبيب) فأما محنة الأطباء لجالينوس فلا يكاد أحد يقوم بما شرط عليهم .

وأما الكحالون فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين بن إسحاق أعنى العشر مقالات فى العين ، فمن وجده فيما امتحنه به عارفا بتشريح العين ، وعدد طبقاتها السبعة ، وعدد رطوباتها الثلاثة ،

(١) ص ١٥٧ ج ١ ابن أبى أصيبعة (٢) ص ٤٥٢ صبح الاعشى ج ٥ (٣) صبح الاعشى ص ٣٧٠ ج ٤
(٤) صبح الاعشى ص ٤٨٧ ج ٣ (٥) تأليف الشيخ الامام العالم عبد الرحمن بن نصر الدين عبد الله الشيزارى وهو محفوظ فى خزانة كتبنا .

وعدد أمراضها الثلاثة، وما يتفرع من ذلك من الأمراض، وكان خبيراً بتركيب الأكحال وأمزجة العقاقير، أذن له المحتسب بالتصدى لمداواة أعين الناس، وألا ينبغى أن يفرط فى شىء من آلات صنعته مثل: سنانير السبل، والظفرة، ومحك الجرب، ومباضع الفصد، ودرج المكاحل، وغير ذلك، وأما كحالو الطرقات فلا يوثق بأكثرهم، إذ لا دين لهم يصدهم عن التهجم على أعين الناس بالقطع والكحل بغير علم وخبرة بالأمراض والعلل الحادثة، فلا ينبغى لأحد أن يركن إليهم فى معالجة عينه، ولا يثق بأكحالهم وشيافاتهم، فان منهم من يضع أشيافا أصلها من النشا والصمغ ويصبغها ألوانا مختلفة فيصبغ الأحمر بالأسريقون، والأخضر بالكركم والنيل، والأسود بالقاقيا، والأصفر بالزعفران، ومنهم من يجعل أشياف ماميثا أو يجعل أصله من البان المصرى ويعجنه بالصمغ المحلول، ومنهم من يعمل كحلا من نوى الأهليلج المحرق والفلفل، وجميع غشوش أكحالهم لا يمكن حصر معرفتها، فيحلفهم المحتسب على ذلك إذ لا يمكن منعهم من الجلوس لمعالجة الناس.

وأما المجبرون فلا يحل لأحد أن يتصدى للجبر إلا بعد أن يحكم معرفة المقالة السادسة من كناش فولوس PandectedePaul d'Egine فى الجبر (وهو ترجمة حنين بن اسحاق) وأن يعلم عدد عظام الآدمى — وهو مئتا عظم وثمانية وأربعون عظما — وصورة كل عظم فيها وشكله وقدره حتى إذا انكسر منها شىء أو انخلع رده إلى موضعه على هيئته التى كان عليها فيمتحنهم المحتسب بجميع ذلك.

وأما الجرائحيون فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس المعروف بقطاجانوس فى الجراحات والمراهم وأن يعرفوا التشريح وأعضاء الانسان وما فيه من العضل والعروق والشرايين والأعصاب ليتجنب ذلك فى وقت فتح الموادو قطع البواسير ويكون معه دست المباضع فيه مباضع مدورات الرأس، والموربات، وفأس الجبهة، ومنشار القطع، ومجرفة الأذن، وورد السلع، ومرهم دان المراهم ودواء الكندر القاطع للدم الذى قدمنا صنعته... وقد يهرجون على الناس بعظام تكون معهم فيدسونها فى الجرح ثم يخرجونها منه بمحضر من الناس، ويزعمون أن أدويتهم القاطعة أخرجتها، ومنهم من يضع مراهم من الكلس المغسول بالزيت ثم يصبغ لونه أحمر بالمغرة أو أخضر بالكركم والنيل، أو أسود بالفحم المسحوق، فيعتبر عليهم العريف جميع ذلك والله أعلم.

عهد ابقراط (١)

ان ابقراط قد وضع عهدا استحلف فيه المتعلم لصناعة الطب على أن يكون لازما للطهارة والفضيلة، وهذه نسخة العهد:

قال ابقراط: إنى أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج وأقسم بأسقليبيوس وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعا واشهدهم جميعاً على أنى أفى بهذه اليمين وهذا الشرط وأرى أن المعلم لى هذه الصناعة بمنزلة آبائى وأواسيه فى معاشى وإذا احتاج

(١) ابن أبى أصيبعة ص ٢٥ ج ١.

إلى مال واسيته وواصلته من مالى، وأما الجنس المتناسل منه فأرى انه مساو لاخوتى وأعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا إلى تعلمها بغير أجرة ولا شرط، وأشرك أولادى وأولاد المعلم لى والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وأحلفوا بالناموس الطبى فى الوصايا والعلوم وسائر ما فى الصناعة، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك، وأقصد فى جميع التدبير بقدر طاقتى منفعة المرضى، وأما الأشياء التى تضر بهم وتدنى منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيى ولا أعطى إذا طلب منى دواء قتالا ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة وكذلك أيضاً لا أرى أن أدنى من النسوة فرزجة تسقط الجنين وأحفظ نفسى فى تدبيرى وصناعتى على الزكاة والطهارة ولا أشق أيضاً عمن فى مثانته حجارة، لكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل، وكل المنازل التى أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادى مقصود اليه فى سائر الأشياء وفى الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد، وأما الأشياء التى أعاينها فى أوقات علاج المرضى أو أسمعها أو فى غير أوقات علاجهم فى تصرف الناس من الأشياء التى لا ينطق بها خارجاً فأمسك عنها وأرى أن مثالها لا ينطق به.

فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد منها شيئا كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها وأن يحمده جميع الناس فيما يأتى من الزمان دائما، ومن تجاوز ذلك كان بضده اهـ.

كتاب العشر مقالات فى العين

قال ابن أبى أصيبعة عن كتاب العشر مقالات لحنين بن إسحاق ما يأتى(١):

قال: هذا الكتاب يوجد فى نسخه اختلاف كثير وليست مقالاته على نسق واحد، فان بعضها توجد مختصرة موجزة فى المعنى الذى هى فيه والبعض الآخر قد طول فيه، وزاد عما يوجبه تأليف الكتاب، والسبب فى ذلك أن كل مقالة منه كانت بمفردها من غير التئام لها مع غيرها، وذلك لأن حنينا يقول فى المقالة الأخيرة من هذا الكتاب: إنى قد كنت ألفت منذ نيف وثلاثين سنة فى العين مقالات مفردة تحدثت فيها إلى أغراض شتى سألنى تأليفها قوم بعد قوم، قال: ثم إن حبيشا سألنى أن أجمع له ذلك وهو تسع مقالات وأجعله كتابا واحداً وأن أضيف له للتسع مقالات الماضية مقالة أخرى أذكر فيها شرح الحال فى الأدوية المركبة التى ألفها القدماء، وأثبتوها فى كتبهم لعلل العين، وهذا ذكر أغراض المقالات التى تضمنها هذا الكتاب: المقالة الأولى: يذكر فيها طبيعة العين وتركيبها، المقالة الثانية: يذكر فيها طبيعة الدماغ ومنافعه، المقالة الثالثة: يذكر فيها العصب الباصر والروح الباصر وفى نفس الابصار كيف يكون، المقالة الرابعة: يذكر فيها جمل الأشياء التى لا بد منها فى حفظ الصحة واختلافها، المقالة الخامسة: يذكر فيها أسباب الأعراض الكائنة فى العين، المقالة السادسة: فى علامات الأمراض التى تحدث فى العين، المقالة السابعة: يذكر فيها قوى جميع الأدوية عامة، المقالة الثامنة: يذكر فيها أجناس

(١) ابن أبى أصيبعة ص ١٩٨ ج ١.

الأدوية للعين خاصة وأنواعها ، المقالة التاسعة: يذكر فيها مداواة أمراض العين ، المقالة العاشرة : فى الأدوية المركبة الموافقة لعلل العين . ثم قال : ووجدت مقالة أخرى حادية عشرة لحنين مضافة الى هذا الكتاب يذكر فيها علاج الأمراض التى تقرض فى العين بالحديد».

فى الحسبة على الصيادلة

قال الامام العالم عبد الرحمن بن نصر الدين عبد الله الشيرازى (١) :

« تدليس هذا الباب كثير لا يمكن حصر معرفته على التمام فرحم الله من نظر فيه وعرف استخراج غشوشه فكتبها فى حواشيه تقربا إلى الله تعالى،فهى أضر على الخلق من غيرها لأن العقاقير والأشربة مختلفة الطبائع والأمزجة والتداوى على قدر أمزجتها، فمنها ما يصلح لمرض ومزاج،فاذا أضيف إليها غيرها أخرجها عن مزاجها فأضرت بالمريض لا محالة، فالواجب عليهم أن يراقبوا الله عز وجل فى ذلك،فينبغى للمحتسب أن يخوفهم ويعظهم وينذرهم بالعقوبة والتعذير ويعتبر عليهم عقاقيرهم كل اسبوع » .

ذكر ثم المؤلف غشوشهم المشهورة مما لا يتسع لنا المقام إلى ذكرها فنجتزىء عنها بما ذكرنا؟

احمد عيسى

(١) من كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة الباب السابع : ٧ مخطوط

واجبك ..! هل أديته ؟..

إنك ستوديه بلا ريب ...

أيها الشباب المثقف..!

إن« مجلة » المعرفة سبيلكم إلى الثقافة الصحيحة ، وهى المجلة المصرية التى يضطلع بأعبائها الشاقة أحد مواطنيكم ، فليكن تعضيدكم إياه .. مشجعاً له ولغيره على إحياء القومية المصرية ..

هذا واجبكم فأدوه